كان منهم من ترك الايمان استنكافا من توبيخ قومه وان يقولوا ترك دين اباته لا كراهة للحق كما يحكى
عن ابي طالب فلم يقبل الحق ولم يتدبر به مع انه يعرف بقلبه حقيقته ويقر بذلك لكنه لم يقبل فكان كالمانع طالب
على زعم ومثله يسمى كفر المعاندة والجحود ويدل عليه قوله اجتمعوا اليه وارادوا ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم سواء والله لن يصلوا اليك بجمعهم حتى اوسد في التراب دفينا فاصدع بامرك ما عليك
غضاضة وابشر بذلك وقر منه عيونا ودعوتني وزعمت انك ناصح ولقد صدقت وكنت ثم امينا و
عرضت دينا لا محالة انه من خير اديان البرية دينا لولا الملامة او حذار مسبة لوجدتني
سمحا بذلك مبينا وقد اقر ابو طالب بانه عم خير فتيان قريش في الفضائل الانسانية في الخطبة
التي خطبها في تزويج خديجة رضي الله عنها وقد حضر معه بنو هاشم ورؤساء مضر وهي قوله
الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسمعيل وضئضئ معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة
بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما امنا وجعلنا الحكام على الناس ثم ان ابن اخي
محمد بن عبد الله من لا يوزن به فتى من قريش الا رجح به فانه كان في المال قل فالمال ظل زائل و
امر حائل ومحمد من عرفتم قرابته وقد خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها من الصداق ما عاجله
واجله من مالي وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل كذا ذكره صاحب الكشاف في
اواخر سورة ال عمران قوله كما ينبئ تقريره وهو قوله انها لو اتفقت في المراد لتوارت
علل مستقلة على معلول واحد وان يخالف فيه لتفاوت عنه قوله وهو على اصل المعتزلة
اي القول بانه تعالى لو اتبع اهواءهم لخرج عن الالوهية مبني على اصل من يقول
الحاكم بحسن الاشياء وقبحها هو العقل وان ما يستحسنه العقل يجب عليه فعله وما يستقبحه
يجب عليه تركه والمتابعة لما يشتهيه الكفرة قبيح عقلا فينافي الالوهية على زعمهم قوله
بل اتيناهم بذكرهم متصل بقوله واكثرهم للحق كارهون اي ليس مما جاءهم به ما يكرهونه
بل ذكرهم للحق كارهون اي وعظهم او صيتهم اي شرفهم وفخرهم كما قال وانه لذكر لك ولقومك
اي شرف وتنويه لكونه بلسانهم ولغتهم ثم انه تعالى وبخ الكفرة بوجه اخر على عدم اجابتهم الى
دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم انكرا اولا بقوله افلم يدبروا القول وهو استفهام بطريق
الانكار اعلم لم يتفكروا ويعلموا انه حق من الله فيحصل لهم سعادة الدارين ثم اضرب عن هذا
الاستفهام الانكاري الى استفهام انكاري اخر فقال ام جاءهم ما لم يات اباءهم اي بل اتركوا
الايمان به لانه جاءهم ما لم يسمعوا شيئا من نوعه فانكروا ذلك واستبعدوه ثم اضرب من ذلك
الى ان قالوا بل اتركوا الايمان به لانهم لم يعرفوه بالامانة والصدق قبل دعوى الرسالة
ثم اضرب عن ذلك الى ان قال بل اتركوا ذلك لزعمهم في صفقيه كونه مجنونا ثم اضرب عن ذلك الى ترك

قال بل اتركوا ذلك لكونه يسالهم على تبليغ الوحي جعلا يعطونه اياه فيثقل عليهم قبوله وليس الامر كذلك
لان ما يعطيك الله تعالى من الاجر والمثوبة في الدنيا والاخرة خير من اجرهم وفيه مدح وحث
لك عن عطائهم فلا عذر لهم في الاباء عن قبول قولك البتة قوله في الضريبة على الارض وهي
ما يضربه الامام على الارض ويضعه بمنزلة الاجرة المضروبة عليها والوجه في كون الخراج مشعرا بالكثرة
كثرة المضروب بكثرة الارض واما وجه كونه مشعرا باللزوم فلايجاب الشارع اياه على اصحاب الارض
الخراجية ثم انه تعالى لما زيف طريقة القوم اتبعه ببيان صحة ما ادعاه اليه الرسول واشار الى
علة نكوب من عدل عنه فقال وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم تنكير الصراط المستقيم للتعظيم
ثم عرفه تعريف العهد في قوله عن الصراط لناكبون اي لعادلون الناكب عنه لعدم ايمانهم بالاخرة
والنكوب من باب دخل قوله اشركت الله والرحم اي اسالك بالله وبالرحم وهو قسم استعطاف
واسترحام والعلهز طعام كانوا يتخذونه من الدم والوبر في سني المجاعة وقيل هو القراد
مع الصوف كانوا يدوفونها ويولونه وقتلت الاباء بالسيف المراد به ما جرى عليهم يوم بدر
من قتل صناديدهم واسرهم حتى قتل منهم سبعون واسر سبعون من صناديدهم وهو
صنديد وهو السيد الشجاع وهذه الرواية تدل على ان هذه الايات مدنية واما ما
اصاب قريشا من القحط سبع سنين بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بعد
الهجرة وقد ذهب المفسرون الى ان السورة مكية اعتبارا للاغلب والمعنى لو
كشف الله تعالى عنهم هذا الضر بمحنته عليهم ووجدوا الخصب لارتدوا الى ما كانوا
عليه من الاستكبار وعداوة رسول الله والمؤمنين لذهب عنهم الانكسار والتملق
بين يديه يسترحمونه واستشهد على مفهوم هذه الشرطية بانا اخذناهم بعذاب يوم بدر
فما وجدت منهم بعد ذلك استكانة ولا تضرع حتى فتحنا عليهم باب الجوع الذي هو اشد
من الاسر والقتل فابلسوا الساعة وخضعت رقابهم فارسلوا اليك اشدهم شكيمة في
العناد يستعطفك واستكان استفعل من الكون ومعناه يحول من كون الى كون كاستحال
بمعنى تحول من حال الى حال اي ما تحولوا عن الحال السوء التي هم عليها الى الحسنة فان باب الاستفعال
اي تحولوا قد يكون للتحول من حال نحو ... ويجوز ان يكون افتعل من السكون اصله استكنوا
فاشبعت فتحة الكاف فتولدت منها الالف اي سكنوا وما ذلوا وخضعوا لربهم وما تضرعوا
بل مضوا على تمردهم وعتوهم حتى غاية ليس للاستكانة والتضرع ثم انه تعالى ذكرهم نعمه التي انعمها عليهم
ليستاذوا بذلك الشكر له عليها فقال وكرامة نعم التي هي السمع والبصر والفؤاد ليتوصل
الى معرفة كل نافع وضار وكل طيب فاخبر انه اعطاهم ما يعرفون به النافع من الضار

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)